جهـــود الشيخ الطـــاهر العبيدي - عليـــه رحمـــة اللّه- في خدمة التعليم القرآني

The efforts of Sheikh Al-Taher Al-Obaidi - may God have mercy on him - In the service of Quranic

زيد مليكة

جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي / الجزائر *malikazid**@yahoo.com***

تاريخ الاستلام 2022/11/05 تاريخ القبول 2022/12/25

الملخص

إنّ مدنَ الجنوب الشّرقي الجزائري تزخر بعددٍ كبير من رجال الإصلاح والفكر، قدّموا جهودًا في سبيل خدمة الدِّين والوطن والعلم، ومدينة وادي سوف أحدها شهدت انتعاشًا علميًّا قبل الاستقلال وبعده بفتح مدارس لتكوين الفرد الصّالح وتحريره من حمأة الجهل و التخلُّف ، وكانت بلدة كوينين إحدى مناطق المدينة وُلِد من صلبِها أعلام أبلوا بلاءً حسنًا في خدمةِ الدِّين ونشر العلوم ،والشّيخ الطاهر العبيدي أبرزهم ،ورث الإمامة والتّعليم والتّدريس عن شيوخه في بلدته كوينين و شيوخه بالزيتونة ،فهدف البحث إلى التّعرف على تجربته العلمية والإصلاحية أهمِّها جهوده في التعليم القرآني، مستخدما المنهج الوصفي والتّاريخي ،فخلص البحث إلى أن الشّيخ الطاهر العبيدي من الشّخصيات التي اشتهرت بالكفاءة في ممارسة التعليم القرآني لا كسابه مهارات ميزته عن غيره وصِّفات جعلت منه شخصية ثابتة ومنضبطة آتت جهدها أكلها وثمارها .

الكلمات المفتاحية: جهود ، الطاهر العبيدي ، التعليم القرآني.

Abstract*:*

The cities of the southeast of Algeria are replete with a large number of men of reform and thought, who have made efforts to serve the religion, the homeland and science, and the city of Wadi Souf, one of them, witnessed a scientific recovery before and after independence by opening schools to form the good individual and liberate him from the sludge of ignorance and backwardness. From its core, prominent figures were born who did well in the service of religion and the dissemination of sciences, and Sheikh Al-Taher Al-Obaidi is the most prominent of them, and he inherited the Imamate, education and teaching from his elders in his town Kunin and his elders in Zaytouna. The research concluded that Sheikh Al-Taher Al-Obaidi is one of the personalities who is famous for his efficiency in practicing Qur'anic

education, not by acquiring skills that distinguish him from others and qualities that made him a stable and disciplined personality.
Keys Words: Efforts, Al-Taher Al-Obaidi ،Quranic Education.

مقدمـــــة

شهدت مدينـــة وادي سوف حركـة إصلاحية خلال القرن العشرين ،زاخرة بجهودِ شيوخهـا وعلمائهـا خرِّيجي جـامع الزّيتونـة بتونس والأزهر الشّريف بمصر ،وممّن تلقّوا العلم من شيوخ جمعيـة العلمـاء المسلمين الجزائريين ، فشهدت انتعاشًا وإنتاشًا لبزوغ بذرة التّعليم والإصلاح، فأخرج شطأه واستوى على سوق علومها الشّرعية المزدانة بأوراقها الأدبيـة والفكرية ،فخلَف من بعدها شغف ساكنة المدينةِ إقبالاً والتفافا للريِّ من ضِئْر حملة الرِّسالة لإصلاح ما أفسدته ترسانـة الجهل والتّخلُّف الذي خلّفه الاحتلال الفرنسي ،فمسخ الهوِّية الوطنية وأجهضَ المقوّمات الدِّينية التي ما فتئت الجمعية تعمل على إحياء مواتها وجبر ما صدع منها من جدران العروبـة وعرصات الدِّين الإسلامي .

فكان لخرِّيجي هذه المعـاهد الإصلاحية اليد الطولى والبصمة العليـا في مجال العمل الإصلاحي ،ومنْ أبرزهم ما نـأمل أنْ يسعفنـا دراسة نشاطـه وجهوده الإصلاحية والثّقافيـة " الشّيخ الطاهر لعبيدي" عليه رحمة اللّه ،والذي عُرف بدوره التّعليمي والإصلاحي في منطقتـه وادي سوف وتحديـداً ببلدتـه كوينين ومدينة تقرت .

وهو ما سنسلِّط عليه الضّوء من خلال هذه الورقة البحثية بتقديم نافذة مضيئة عن شخصية الشّيخ وحياته العلمية والإصلاحيـة وجهوده العلمية وتحديدا جهوده في خدمة القرآن الكريم ،وهو شخصية فاعلة لمْ ينلْ حظّـه الأوفى من عنايـةِ أهل الفكر والعلم إلاّ كلمـات قليلة من الأوفيـاء فكان من حقِّهِ علينـــا وعلى رجـــال الفكر في منطقة الجنوب الشّرقي بوادي سوف أنْ تقف على حياتـــه وقفـة الذّاكر بالجميل اعترافًا لمـا قام به من جهدٍ إصلاحيٍ وثقافي، وما حملـه من انجازات بحكم معايشته لمرحلتيْ الاحتلال الفرنسي وبعد الاستقـلال .

ونظرًا لعمقِ الموضوع وأهمِّيتـــه التّاريخيـــة عمدت هذه الورقـــة البحثيـــــة لتحقيقِ الأغراض الآتيـــــة :

- ✓ الرّغبـــة الذّاتيـــة في التّعرف على أحدِ روّاد الفكر الإصلاحي بالجنوب الشّرقي بمدينـــةِ وادي سوف للمآثر التي خلّدها في خدمـة التعليـــم القرآني ، وولائه لدينـــه ووطنـــه و عروبتـــه .
- ✓ معرفـــةِ جهود الشّيخ العلمية والإصلاحية، إضافـــة إلى تقديم ما هو جديد ومستحدث في تاريخ الفكر الإصلاحي والثّقافي بمنطقة وادي سوف .

- ✓ حيويّة الموضوع ومحدودية الدِّراسات الأكاديمية التي تناولت شخصيات إصلاحية بالجزائر عموما و بمنطقة وادي سوف خاصة.
- ✓ معرفة الجهود التي بذلها الشّيخ في نشر العلم وممارسة التّعليم القرآني ومساهمته في بناء المجتمع فكريًّا وعلميًّا .

مستخدما في ذلك المنهج الوصفي لوصف الأحداث التّاريخية التي رافقت الشّيخ الطاهر العبيدي عليه رحمة اللّه ، والمنهج التّاريخي لتتبُّع تسلسل الأحداث التّاريخية زمانًـــا ومكانًـــا .

و لفهم الجوانب النّشطة في حياةِ الشّيخ "الطاهر العبيدي "عليه رحمة اللّه ونشاطه في التعليم القرآني ،انطلق البحث في الحديث حول حياة الشّيخ من حيث نسبـه ومولده ونشأتـه ، وتفاصيل مسيرته الشّخصية بين مرحلتي التَعليم والتّكوين ،بدايـة بالتحاقه بمدرسة الكتاب ببلدته وجامع الزّيتونة" ، والمكانة اللاّئقة التي حظي بها في تونس وفي منطقته كوينين والأكثر مكانة في مدينة توقرت ،ثمّ التّطرق إلى تفاصيل عودته إلى بلدتـه كوينين ومكوثه بمدينة توقرت والمهام التي تولاّها أثبت جدارته في خوضِ النِّضال والإصلاح ومقاومته الثقافية باستخدامه مهنـــة التعليم القرآني .

وللتعمُّق في معرفة حيثيات الموضوع وتفاصيله يمكننا الإجابـــــة عن التّساؤلات الآتيــة :

- ✓ من هو الشّيخ الطاهر العبيدي عليه رحمة اللّه ؟
- ✓ ماهي الدّواعي التي جعلت الشّيخ الطاهر العبيدي يلتحق بجامع الزّيتونة بتونس ،ويغادر بلدته كوينين ويستقر بمدينة تقرت ؟
- ✓ فيم تمثّل الدّور الإصلاحي والثقافي للشّيخ الطاهر العبيدي في منطقته وادي سوف ؟
- ✓ ماهي أهمِّ جهود الشيخ الطاهر العبيدي عليه رحمة في خدمة التعليم القرآني ؟

المبحث الأول : الشّيخ الطاهر العبيدي – عليه رحمة اللّه - مولده و نشأته وتعليمه

المطلب الأول :نسبـــه ومولـــــده

هو الطاهر بن العبيدي بن علي بن بلقاسم بن عمارة بن بلقاسم بن سليمان بن عبد الملك بن الهادي بن احمد خذير بن عبد العزيز بن سليمان بن سالم بت ابراهيم عبد الحليم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جابر بن جعفر بن محمد بن محمد بن عبد اللّه ابن ادريس الأصغر ابن ادريس الأكبر ابن عبد اللّه الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن الإمام علي رضي اللّه عنهم، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب، رضي اللّه عنه، وفاطمة الزهراء بنت

النبي، ﷺ ، ولد سنة 1304هـ الموافق لـــــ: 1868م بمدينة وادي سوف بجنوب الجزائر من أسرة فقيرة، إذ كان والده في العديد يشتغل حداداً ،لذلك كان يعرف في شبابه بابن الحداد أو الطاهر بن ضية نسبــة إلى والدته ضية بنت بلقاسم ، إلا أن ذلك لم يمنعه من تنشئة ابنه في رحاب العلم والأخلاق رغم شغف العيش الذي كان يعيشه[1]، أرسله والده منذ صغره إلى الكتاب لتعلم الحروف العربية و لحفظ القرآن الكريم، و قد تميزت منطقة وادي سوف و بعض المناطق الجزائرية (غرداية – المسيلة و غيرها ...) بلسانها العربي الفصيح المبين الذي لا عجمة فيه و لا لوثة تختلط بصفاء اللسان مما كان له تأثير كبير على اللغة اليومية المعتادة فيما بينهم ، و هو ما ساعد القوم على قراءة القرآن الكريم الذي شاع حفظه في تلك الربوع حتى بين النساء ، و لم يشذ عن اترابه و لداته فقد تمكن من حفظ القرآن الكريم حفظ تمكن و إتقان و لما يتجاوز الثانية عشر من العمر ، بينما يذهب الأستاذ محمد محدة في تحقيقه لرسالة الستر و تعليقه عليها في معرض ترجمته للشيخ العبيدي إلى أنه حفظ القرآن الكريم في سن التاسعة ، يقول : (و ظهر عليه بوادر النجابة و الذكاء في سن مبكرة ، حيث حفظ القرآن الكريم في سن التاسعة من العمر ، ثم انكب على دراسة العلوم الشرعية و اللغوية ، فحفظ المتون المعروفة في التفسير و الفقه و الحديث و الأصول .... و تفتقت عنده الملكة الفقهية و هي بمثابة الرصيد المخزون الذي راح ينمو باضطراد عجيب ، و يتصاعد وفق خط بياني واضح في حياته العلمية ،فحفظ القرآن في سنه المبكرة في ورقلة ثم في مساجد وادي سوف بالمسجد العتيق بالنخلة أين جمعته علاقة زمالة مع الشيخ محمد الأمين العمودي الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين لسنة ...)[2].

المطلب الثاني :نشأتـــه

نَشَأَ الشّيخ "الطـــاهر العبيدي" عليه رحمـــــة اللّه في ظروفٍ وأحداثٍ سياسيّةٍ كان لها الأثر في تكوين شخصيته وتحصيله العلمي قبل الاستقلال وبعده ،سواء في طفولته أو عندما كان شابًّـــا ، كاندلاع الحرب العالمية الثّانية 1939م/1945م ووقوع الانتفاضة الشّعبية بمدينته وادي سوف (هدّة عميش) الثّانية سنة 1938م ،تمثّلت مطالبها رفع الضّرائب التي فرضها الاحتلال في حقٍّ سكّان المدينة، وتحسين الظُّروف الاجتماعية ورفع التّضييق عن المدارس والزّوايـا ، بالإضافة إلى أحداث ميلاد الحركات الوطنية، وتأسيس بعض الأحزاب كحزب الشّعب 1937م ،وتأسيس جمعية العلماء المسلمين 1931م حيث كان النّشاط الإصلاحي والثّقافي من طرف شباب الجمعية وشيوخها ،وتنظيمات الهجرة الطُّلاّبية العلمية، وبروز الحركات الوطنية التّحرُّرية، وأحداث 8 ماي 1945م بدايات التّحول من المقاومة السِّياسية إلى المقاومة المسلّحة ،وتبلور بداية التّفكير الجدِّي للثّورة [3]...

كما نَشَـــأ الشّيخ في وسطِ أسرةٍ محافظة تهتمُّ بتعليم أبنائها العلم وحفظ القرآن، ومنذ صغرة انضم إلى للكتاب القرآني الموجود في بلدته وعمره لا يتجاوز خس سنوات حفظ القرآن على يد الشيخ

"محمد الغالي" حيث كـان معلّمًا للقرآن وإمامًا بالمسجدِ ،ومن وجهاء وأعيان البلدة لمـا رأى فيه النّـاس من خلقٍ قويمٍ وتوجُّه نحو العلم وخدمـة الغير بدون مقـابل ،كما أخذ عن شيوخ البلدة الصرف والنحو ومبادئ اللغة العربية على يد الحسين مطوري أما الفقه على يد الشيخ أعمر الأحمدي وخاله الشيخ السعيد بلعبيدي[4].

المطلب الثالث : تعليمـــــــــه

مدينة وادي سوف المنطقة الصحراوية والمعزولـــة طبيعيًّا وذات الظُّروف السِّياسية الصعبة من خلال تسلط الحكم العسكري الفرنسي عليها والظروف المعيشية الصعبة لسكانها، شهدت حضورها الإصلاحي والثقافي بشكل بارز كانت مقوِّماتها الأولى تأسيس المدارس القرآنية في بدايات القرن 19، وكذلك الرّحلات العلمية والثّقافية المتبادلة بين زوايَا ومدارس القطر التُّونسي خاصّة جامع الزّيتونـــــة لتكوين جيل متعلِّم مثقّف يقود الحركة العلمية والثّقافية في زمنٍ ما بعد الاستقلال وكانت اولى رحلات الشيخ الى تونس حيث جامع الزيتونة إلا أن انطلاقة تعليمه في منطقته و على الطريقة التقليدية في عصره، حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، ثم تلقى بعض العلوم الشرعية على يد شيوخ من المنطقة، منهم عبد الرحمن بن محمد العمودي المعروف بتبحره في علم النحو ،ومحمد العربي بن موسى عليه رحمة اللّه الذي بدأت تظهر على يديه نجابتـــه، وتفتحت مواهبه واستعداداتــه لتلقي المزيد من العلم.[1]

و استفاد من دروس الشيخين القاضي عمارة و الصادق بلهادي ، كما تلقى الإجازة من الشيخ محمد المكي وأخذ ورد الطريقة الرحمانية عن الشيخ محمد الصالح بن سيدي سالم[5]، نصحه شيوخه وأساتذته بالتوجه إلى الزيتونـــة ،فشدّ الرِّحال إلى تونس وهنـــاك بدأت رحلتـــه العلميـــة سنة 1904م.

وكان التحــاقُ الشّيخ "الطاهر العبيدي" عليه رحمة اللّه بالزّيتونة لمْ يكن صدفـة أو لإحراز شهادات عليًا وإنّما رغبته الجامحة والملحّة للتّعلُّم واكسـاب فنون وعلوم يحتاجها في مساره العلمي ومشواره الإصلاحي بصفةٍ أشمل، فحينما يجتمع الدّافـع الذّاتي الجامح مع توفُّر الصِّفات الخلقيّـة والمعنويّـة كالصِّدق والإخلاص يبنى عليها اكتمـال الشّخصية العلمية المتينـة التي تكوّنت من مؤسّسـات التّعليم الدِّينية سواء في تعليمه الأوّل على يدِ شيوخ منطقته الوادي أو بـــــــــــــ :" جامـــع الزّيتونـــــــــة "

وعلى إثر تفوقه رحل إلى جامع الزيتونة الذي كان حينها قبلة لطلاب العلم، وفي رحابه تتلمذ على عددٍ من المشايخ المتخصِّصين في عددٍ من العلـوم منهـــم : كالشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ خليفة بن عروس، والشيخ محمد النجار، والشيخ صالح الهواري، والشيخ ابن حمود، والشيخ

1

أحمد بن مراد، والشيخ أحمد البنزرتي ، [6] فاطلع هناك على أمهات الكتب والمصادر في العلوم الشرعية والأدبية، ولكن شاءت إرادة اللّه أن يعود الشيخ إلى موطنه بعد ثلاث سنوات قبل استكمال دراسته بسبب ظروف عائلته المادية القاسية، إلا أن عصاميته وجده واجتهاده جعلوا منه عالما فقيها وأصوليا حجة، ومتصوفا عارفا، ولغويا محنكا، وواعظا متمرسا، وأستاذًا ناجح، ومجيئه من تونس لم يحوله الى التقاعس والتراخي في طلب العلم بل واصل البحث والاطلاع حتى تحصل على الإجازة من الشيخ مصطفى بن عزوز بالمراسلة إذ كان الشيخ بن عزوز ولغزارة علمه وتحصيله العلمي والديني أطلق عليه أبناء بلدته بـــــ : مالك الصغير ، كان الشيخ العبيدي يتولى مهمة التدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه الديني مدة ستين عاما حتى أصبح عالم تقرت وفقيهها الأكبر بدون منازع ،ولهذه المكانة المرموقة التي حظي بها أصبحوا يلقبونه بـ: مالك الصغير[7] ووصفه أحد تلامذته بأنه شيخ الإسلام في الجزائر [8]، وقال فيه الشيخ عبد المجيد حبة عليه رحمة اللّه :(لم أرى فقيها متمكنا وأصوليا قادرا بعد حجة الفقه الإسلامي خليفة بن حسن القماري في منطقة الجنوب باستثناء الفقيه الأصولي الطاهر العبيدي وقال أيضـا كان في العلوم الشرعية والفقه بحرا لا يوجد من يضاهيــه حتى على مستوى العالم الإسلامي يقـــــوم بإلقـــاء دروس في النحو والتفسير في جامـــع سيدي مسعود بسوق الوادي)[9].

وبعد سنوات من النِّضـــال حتىّ سنة 1968م توفِّي الشّيخ ،فشهدت جنازتــه حضوراً مهيبًـا شهد عليه القاصي والدّاني القريب والبعيـد لشيـمِ أخلاقــهِ ومثابرتهِ في مهامــه وجهوده التي أينعت وآتت أكلهـا، فكان مثـالاً وقدوة يحتذى بـه[10].

المبحث الثاني : جهود للشّيخ الطاهر العبيدي في خدمة القرآن الكريم بمدينته الوادي

شهدت مدينة وادي سوف أنشطة إصلاحيـــة وثقافيـــــة رائـــدة تبنّاها رجال مصلحين ردًّا على الحملات التي شنّها الاحتلال الفرنسي على العلم والتّعلُّم ،حتّى لا يسمح للأجيال الجزائرية أخذ نصيبها من التّعليم فينشأ جيل ضعيف الشّخصية منتزع الهويـــة ، ففتحت المدارس التّعليمية والقرآنية على أوسع نطاقها كمدرسة "محمّد القروي بن علي" بحي الأعشـــــاش سنة 1890م ،ومدرســـــة الشّيخ " الإمـــام الشريف " بالرّبـــاح 1869م ،ومدرســـة الشّيخ " الهاشمي الشّريف" بالبياضـــــة سنة 1907م ،ومدرســـــة الشّيخ " الحسين حمادي القرآنيـــــة " بالنّخلة سنة 1940م ....[11]

فكانت المدينة حاضرة علمية إصلاحية فكلُّ مساجدها تحوي مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ اللُّغة العربية والفقه وبقية العلوم ،ويعود الفضل إلى الجهود التي بذلها شباب وشيوخ وعلماء المنطقة ممّن تطوّعوا لإعدادِ نشءٍ متعلِّم ومثقّف ، ثمّ إرسالهم في بعثات طلاّبيـــة إلى مدارس ومعاهد جمعية العلماء المسلمين أو إلى زوايا الجنوب التُّونسي مثل زاوية "سيدي ابراهيم " وزاوية "

مصطفى بن عزوز" بنفطة وزاوية سيدي " المولدي " بتوزور وجامع الزيتونة ....ومن بين هؤلاء الطّلبة كان الشّيخ " الطاهر العبيدي " عليه رحمة اللّه أحدهم والذي تكوّن وتعلّم على يدِ مشايخ وعلماء الزّيتونة فتلقّى منهم علومًا عديدة جعلت منه شخصية علميّة ودينيّة قادرة على تولّي مهمّة التّعليم ،فقضى تقريبًا ثلاث سنوات طالبًا بالزّيتونة دون أن يكمل تعليمه ليعود إلى مسقط رأسه بسبب ظروف والده المادية المتدهورة ،ليواصل تعليمه استنادا الى مصادر الفقه الإسلامي واللغة العربية حتى تمكن من احتلال مكانة مرموقة جعلته الحجة الدامغة والبرهـــان الساطع وعندما بلغ 22 سنة اضطر إلى تغيير وجهته إلى مدينـــــة توقرت سنة 1907م التزامـــا بوصية أستـــــاذه محمد العربي بن موسى عليه رحمة اللّه الذي أشـــار عليه بأن يخلفه في الإمامـــة والتعليم القرآني بالمسجد الكبير بحي مستـــاوة بمدينة توقرت ، وقد استقر بها بشكل نهائي دام فيهـــا ما يفوق ستين سنة [12] فكان هذه الهجرة بداية نشـــــاط الشيخ الفعلي وهي الرحلة المهنيـــة والعلمية التي خاضهـــا الشيخ إلى أواخر عمره فانطلـــق في تطبيق مشروعـــه القرآني بدايـــةً بـــــــــــ :

المطلب الأول : المسجـــد

اتّخـــذ الشّيخ الطـــاهر العبيدي عليه رحمة اللّه من المسجد فضـــاءً لمهمة الإصلاح حتّى جعل منه مؤسّسة إسلامية مؤثّرة ، إذْ المسجد في الإسلام هو مركز الإشعاع، ولهذا كان الشّيخ " عبد الحميد ابن باديس" عليه رحمة اللّه يحفِّز طلبته على العمل المسجدي فيقول: (فـإذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإنّ العامّة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظٍّ وافر، وتتكوّن منها طبقـة مثقّفة الفكر صحيحة العقيدة، بصيرة بالدِّين، فتكمل هي في نفوسهـا ولا تهمل ، وقدْ عرفت العلم وذاقت حلاوتـه ، تعليم أبنائها وهكذا ينتشر العلم في الأمّـة ويكثر طلابـه من أبنائها وتنفق سوقها فيـه، أمّا إذا خلت المساجد من الدُّروس فإنّ الأمّـةَ تنفض عن العلم والدِّين وتنقطع علاقتهـا به وتبرد حرارة شوقها إليه فتجسوا نفسها وأبنائها، وتمشي والدين فيها غريب).[13]

كـــان المسجد النّواة الأولى للتّعليم القرآني وهو ما جعل الشّيخ يكرِّس جهوده لتعليم القرآن والإرشاد الدِّيني والتفسير وتهذيب النّاس ومحاربة الأمراض الاجتماعية والعقائدية وتهذيب السُّلوك وتحسين الأخـــلاق[14].

في حين نجـــــد الشّيخ العبيدي عليه رحمة اللّه متعدِّد المهـــام ومترامي الأهداف فقدْ كان إلى جانب الإمامـــة والتدريس يمارس مهنة التعليم القرآني وهو مسؤولية عظيمة وأمـــــانة ثقيلة وتكليف جسيم ليست بالمسؤولية السّهلة ،يسخِّرهـــا اللّه لمن تتوفّر فيه صفـــة الإخلاص والعزيمة والثّبـــات والمواظبة والاستمراريـــــة مع الالتزام والتّواضـــــع.

فكــان يدرِّس عدد من العلوم منها الفقـــه والنّحو والصّرف وله درايـــة كبيرة بالنّحو فعكف على تعليم تلاميذه المتون باللُّغةِ العربيــة وبعض المتون في ما يتعلّق بعلوم القرآن مثـــل: مورد الضمـــآن ،الداني الفاسي والمصباحي في الرسم ومتون الفقه كمتن" ابن عاشر" و"سيدي خليل" والموطأ والرحبيـــة في علم المواريث وكذا الخلاصة الفقهية .....وغيرها من المتون وبعض العلوم الشّرعية.

المطلب الثاني : المدرسة القرآنية

كانت المؤسّســـات التّعليمية قبل الاحتلال الفرنسي وبعده عبـــارة عن غرفٍ صغيرةٍ لصيقةٍ بالمسجدِ أو الزّوايا يتمُّ فيها تدريس القرآن وتحفيظه للصِّغار [15]، حيث كان لهذه الزّوايـــا والكتاتيب الدّور الأكبر في رواج التّعليم بمنطقة وادي سوف[16].

وهذه الكتاتيب تابعة للمساجد وأخرى منفصلة عنها يفتحها بعض الشُّيوخ في منازلهم أو في أماكن مخصّصة للدِّراسة وهذا ما فعله الشّيخ الطاهر العبيدي عليه رحمة اللّه مثله مثلَ باقي رجال وشيوخ الإصلاح ،حيث اتّخذ من المسجد بيتًا لتعليمِ القرآنِ وتحفيظهِ ،وقدْ كان تأثيرها بسيطًا حيث يجلس الأطفال على الحصائر ولكلٍّ طالب لوح من الخشب والطِّين الذي يمحو به بعد إتمام الحفظ وتتمُّ الكتابة بـــ: " الدواة " وتكون الكتابة بقلم من " القصب " [17]ليكون الشّيخ " العبيدي" من الذين بذلوا جهودًا كبيرة في مجال التّعليم القرآني ،كانت أبرز المهام التي تبنّاها الطّلبة العائدين من الزّيتونة والحاصلين على شهادات تثبت أهليتهم للقيام بهذه الرِّسالة النّبيلة سيما وأنّ الجزائريين كانوا خلال هذه الفترة يرزحون تحت السّيطرة الاستعماريـــة الفرنسيـــة التي صادرت كل حقوقهم في التّعليم ورفع الجهل والأمية عن واقع المجتمع الجزائري.

وعلى إثرها كانت جهود الشّيخ جليّة وواضحة ولا أدلّ على ذلك مشروعه التّعليمي النّاجح في بلدته كوينين في بداية مشواره وفي مدينته الثانية التي استقر بها تقرت سعى خلالها إلى اتِّخاذ المسجد والمدرسة القرآنية مقرًّا لتعليم أبناء المنطقة فكانتا محورًا ومقرًّا للجهود التّعليمية الكبيرة التي بذلها الشّيخ عليه رحمة اللّه، لتكون طريقته في تعليم القرآن تقليدية باللّوح قبل شروق الشّمس إلى وقت الضُّحى للصِّغار وكبار السِّنِّ ،وخصّص للكبار دروسًا في محو الأمية بتحفيظ السُّور القصار ،ولمْ تكن دروسًا منتظمة وإنّما دروسًا يلقيها حسب المناسبات والنَّـــوازل.

وما تميّز به الشّيخ في التّعليم القرآني أنـــّه كان ملفتًا للانتباه وطريقتـــه كانت سلسة جذبت نحوه الطّلبة فقصدوه من كافّة أحياءِ مدينة توقورت وسوف حتى أضحى ينادونه أبا الشيخ فتعدّدت مستويات الوافدين إليه من مختلف الأعمار بل حتىّ ذوي الاحتياجات الخاصّة ،وهو ما يتوجّب على الشّيخ التّوفيق في التّكفُّل بهؤلاء الطّلبة حفظًا وتلقينًا فقدْ اعطاه اللّه من النّباهةِ وسعة صدر والفطنة وحضور البديهة ما يجعله قادرًا على تصنيفهم ودراسة قدراتهم العقلية وملكاتهم الكامنة ،

بنيّةِ تنشئتهم ومتابعتهم حتّى يكون جيلاً متفتحًا لأنّ الاستعمار من أهدافه جعلُ الأمّة تعيش حالة من الضّياع والتّيه كيْ لا تطالب بحقوقها.

ونظرا لروحه المرحة وحسن خلقه وطيب معشره فقد عرفت دروسه إقبالا منقطع النظير وأينعت دروسه في وقت قريب فكان صبورا مع تلامذته له نظام خاص في تعليمهم حيث يختبرهم من وقت لآخر ومن رآه متفوقا يمنحه إجازة مكتوبة ثم يعين لهم دروسا خاصة عرفانا لهم، وفي حالة بلوغ أحدهم مقدارا معينا من العلم يرشده إلى مواصلة دراسته بجامع الزيتونة .[18]

وقدْ تتلاقى هذه الفكرة مع مقولة "الشّيخ بن باديس "عليه رحمة اللّه عندما التفّ حوله نفر من الشّباب المتحمّس وطلبوا منه أنْ يرفع صوتــه مدويًّا عاليًــا مطالبًــا باستقلال الجزائر وحرِّيتهــا فقال لهم رحمهم اللّه جميعا: (وهل رأيتم أيُّها الأبنــاء إنسانًــا يقيم سقفًا دون أنْ يشيد الجدران؟ فقالوا: كلاّ لا يمكن، فقال لهم :إنّ من أراد أنْ يبني الأسس يقيم الجدران أوّلا ثمّ يشيد السّقف على تلك الجدران، ومن أراد أنْ يبني شعبًــا ويقيم أمّة فإنّه يبدأ من الأساس لا من السّقفِ)[19] .

وقــدْ أسّس الشّيخ هذه المدرســة لأهمِّيــة التّعليم القرآني في تلك الفترة بحيث يعطي للسُّلطة الثّوريــة عنايــــة خاصّة بالتّعليــم فهي أساس طريق التّقدُّم والرُّقيِّ الفكري والعلمي والحياتي ،ليعتقد الشّيخ العبيدي عليه رحمــة اللّه أنّ التقدُّم العلمي والثقــــافي ينبغي أنْ يسبقَ التّقدُّم الصِّناعي لأنّ الصِّناعــة ثمرة فكر متفوق علميًّا ، وأنْ تُضاعفَ الجهود لتطوير التّعليم وتوسيــع مجالاتــــه فهو الطّريق للخروج من التّخلُّف .

فتخرج على يديه كوكبة كبيرة من العلماء الميداني بن محمد العربي بن موسى ،والشيخ الأزهاري الحرزولي ، وعلي سالمي والبخاري عوينات كما درس على عليه محمد حمده ميده بن احمد وعلي بوخزه ،و الأزهاري بالقط ومحمد هويدي ،وعاشوري قمعون وغيرهم كثيرون ممن انخرطوا في سلك التربية والتعليم والإمامــة و تعليم القرآن الكريــم .

والسرِّ الذي جعلت الشيخ العبيدي عليه رحمة اللّه خدمته للقرآن الكريم ناجحة توفره على بعض السِّمات :

- ✓ تحليه بالصِّدق والإخلاص في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، وهو العامل الأساسي لالتفاف النّاس من حولــهِ.
- ✓ العمل على الحفاظ على العقيدة الصّحيحة والتّمسُّك بالقيم الدِّينية والوطنية والحفاظ على الهوِّية الوطنية وترسيخها ونشر قيم التّسامح والتّعاون بين أبناءِ المنطقة حتّى لا تكون فجوة يتسرّب إليها العدو فنكون لقمة سائغة .

- ✓ تحفيز النّاس وتشجيعهم على التّمسُّك بالتعليم القرآني ودروس التفسير و الوعظ والإرشاد ليكونوا على درايةٍ بدينهم وعقيدتهم التي حاول الاستعمار تشويهها ومسخها وإحلال الدِّيانات الغربية محلَّها .

المبحث الثالث : منهجه في تفسيـــر القرآن

شرع الشيخ العبيدي عليه رحمة اللّه في تفسيره للقرآن الكريم بدءً بالآية الكريمــة من سورة الطلاق التي توقف عندها شيخه الفضيل محمد العربي موساوي عليه رحمة اللّه : ﴿ إِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : 227] وكان الشيخ يستعد استعدادا جيدا في تحضير درســه معتمدا على أهم التفــاسير المشهورة حينئذ [20].

كما كان يقتدي دائما بشيخه محمد العربي موساوي عندما يستفتح الدرس بالمقطع التالي:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنـت المعـد لكـل مـا يتـوقـــــع
يا مـن يرجى في الشـدائد كلهـــــا يا مـن إليه المشـتكى والمفـزع
يا من خزائن رزقـه في قـــــول كـن امنـن فـإن الـخير عنـدك أجمــع
ما لـي سـوى فقري إليك وسيلـــة فبالافـتقار إلـيـك فقـري أدفـــع
مـا لي سـوى قرعي لبابك حيلـــة ولـئن رددت فـأي بـاب أقـــــرع
ومـن الـذي أدعو وأهـتف باسمـــه إن كـان فضلك عن فقيرك يمنع
حـاشا لجودك أن تقنط عاصيـــــا الفـضل أجـزل والمـواهب أوسع
ثـم الـصـلاة عـلى الـنبي وآلـــــــه خيـر الأنـام ومـن به يتشفـــــــع.[21]

وقـــد تمكن من إتمام ختم التفسير كامـــلا يوم الثلاثاء في العاشر من محرم لسنة 1934م، حيث كان يكتفي بشرح آيـــة أو آيتين في اليوم مما ترتب عليـــه إنهـــاء التفسير في مدة 28 سنة أو 35 سنة ، وكان يميل في تفسيره إلى الأسلوب القصصي ومن جميع الجوانب العقائديـــة والتشريعيـــة والبلاغيـــة واللغويـــة والتاريخيـــة ، فلم يكن مهتما بتدوين التفسير إلا أن بعض تلامذته كتبوا اجزاء منه لاتزال مخطوطـــة في الكراريس، والكثير من الفتاوى والبحوث الأصولية متفرقـــة عند تلامذته واكثرها ضاعت ممـــا افتقد كنز ثمين من كنوز العلم[22].

تفسيره عليه رحمة اللّه لم يكن يخلو من إشارات بلاغيـــة ونحويـــة ومعجمية بأسلوب ميسر تمكن من خلالـــه من نقل هذه العلوم إلى العامـــة ناهيك عن الخاصة من تلاميذه ، وظل على جهاده العلمي ستين عامـــا فحفظ اللّه به وبأمثـــاله اللغة العربيـــة في هذه الربوع من الضيـــاع والانطمـــاس.[23]

الخاتمـــــة

في نهاية هذه الورقة البحثية خلص البحث إلى أن :

- ✓ مدنَ الجنوب الشّرقي الجزائري تزخر بعددٍ كبير من رجالِ الإصلاح والفكر، قدّموا جهوداً في سبيل خدمة التعليم القرآني مما شهدت انتعاشًا علميًّا قبل الاستقلال بفتح مدارس قرآنية لتكوين الفرد الصّالح وتحرير سكّانها من الجهل و التخلُّف.
- ✓ شخصية الشّيخ الطاهر العبيدي عليه رحمة اللّه من الشّخصيات الإصلاحية النّشطة وعظًا وإرشاداً وتعليماً ،والصِّفات التي يحملها جعلت منه شخصية تتميّز بالعزيمة والثّبات ،و الظُّروف الاستعمارية التي عاشها لمْ تنقص من عزيمته فآت جهده أكله وثماره .
- ✓ عظم المسؤولية الملقاة على عاتق شيوخ ورجال الإصلاح في الجزائر قبل الاستقلال وبعده سيما خريجي الزيتونة من أجلِ إصلاحِ أحوالِ الشعب الجزائري عموما عن طريق التعليم المسجدي القرآني ،قصد انتشالهم من حمْأة الجهل والتّخلُّف التي فرضتها السُّلطات الاستعمارية منذ دخولها إلى المدينة .
- ✓ التعليم القرآني يحتاج إلى موارد بشرية وطاقات ذات كفاءة كأمثال الشيخ الطاهر العبيدي .
- ✓ شخصية الشيخ الطاهر العبيدي عليه رحمة اللّه من الشّخصيات الإصلاحية النّشطة إبّان الاحتلال الفرنسي وبعده وعظًا وإرشاداً وتعليماً للصِّفات التي يحملها جعلت منه شخصية تتميّز بالعزيمة والثّبات
- ✓ إنّ خدمة التعليم القرآني التي قدمها الشيخ تميزت ببساطة وسائلها وقوة تأثيرها .

التوصيات

- مواصلة البحث في الشّخصيات المحلِّية و الوطنية الإصلاحية ممن بذلوا جهودا نيرة في خدمة التعليم القرآني.
- دعوة الباحثين الأكاديميِّين في جمع شتات المعلومات المتناثرة في الكتب والأبحاث وفي كوامن الأصفياء ممن قدموا خدمات لكتاب اللّه العزيز حفظا وتلقينا ودراية .
- اصدار جريدة او مجلة اكاديمية تهم شخصيات ، مؤسسات ، ممن قدموا جهودا في تعليم أبناء الجزائر القرآن الكريم .
- تشجيع الباحثين الأكاديميين ماديا أو تشريفيا ممن يكتبون ويؤلفون في سير اعلام الفكر الإصلاحي
- أنْ يكون الانتاج العلمي والفكري في موضوع رواد الفكر الإصلاحي بالمنطقة ضمن مقررات التدريس التعليمية والتربوية والأكاديمية .

- تشجيع فتح مدارس قرآنية تحافظ على سيرورة التعليم القرآني بشكل إداري منظم .
- إحياء ذكرى الشخصيات الإصلاحية و المناضلة في المنطقة عن طريق المؤتمرات والملتقيات والندوات ...

الهوامش :

[1] حرزولي العزوزي ، 2015 ،منظومة البيان بأسهل بيان للعلامة الشيخ الطاهر العبيدي دراسة وتحليل ،، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، مج 7، العدد7م، .ص 221.

[2] المرجع نفسه ، ص 221. عوادي عبد القادر عزام ،2018م، شموع تأبى الذوبان ، ترجمة لمجموعة من العلماء والمفكرين والمصلحين الجزائريين ،الوادي ، دار سامي للنشر والتوزيع ، ص 207.

[3] حرزولي العزوزي ، منظومة البيان بأسهل بيان للعلامة الشيخ الطاهر العبيدي دراسة وتحليل ، المرجع السابق ، ص221.

[4] المرجع نفسه ، ص 221.

[5] الثلاثاء _28 _يناير _2020 https://binbadis.net/archives/10017 ,18:51 28-1-2020AD AHالحفناوي بن عامر غول، العلامة الشيخ الطاهر بن علي بن بلقاسم العبيدي 1886/1968.

[6] الأحد _16 _يوليو _2017 ,15:42 16-7-2017AD AH

https://binbadis.net/archives/2767 قدور قرناش الشيخ الطاهر لعبيدي (1887 – 1968): العلامة الفقيه الحجة

[7] حرزولي العزوزي ، منظومة البيان بأسهل بيان للعلامة الشيخ الطاهر العبيدي دراسة وتحليل ، المرجع السابق ، ص222.

[9] المرجع نفسه ، ص 220

[11] محاضرات الندوة الفكرية 11،محمّد الأمين العمودي المنعقد بالوادي 4/15/ 1998م، محمّد الضّالح بن علي ،الشّيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح ،المرجع السّابق ، ص 33.

[12] قمعون عاشور ،2017م ، العلامة الفذ الشيخ الطاهر العبيدي حياته وآثاره ، الوادي ، مجلة المنهل ، العدد 4، السنة 3، ، ص 199.

[13] العمري مرزوق ، 2021، التّعليم المسجدي في مشروع ابن باديس الإصلاحي، فبراير 2، https://www.islamanar.com/mosque-education/ ، تمت مشاهدته بتاريخ : 2022/02/19م على الساعة 17:30.

[14] بو صفصاف عبد الكريم ،2013م، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الاخرى 1931م /1945م، ط5، دار البهاء ،عن وزارة الثقافة الجزائرية ،ص 142.

[15] أوري لحسن ،2011م، السِّياسة التّعليمية الاستعمارية في افريقيا (نموذج المغرب العربي) دورية كان التّاريخية ، العدد12، ، ص 35.

[16] مقدود البشير ، التّعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرّفض والتّأثير ، مجلّة المعارف للبحوث والدِّراسات التّاريخية ،جامعة الشّهيد حمّة لخضر ، الوادي العدد4، ص 140.

[17] المرجع نفسه ، ص 305.

[18] ميهوبي عبد القادر ،2012م ، معجم الصفوة سير وتراجم أعلام وشيوخ من الجزائر في الفقه والتصوف ، الثقافة والأدب ، العلم والجهاد والإصلاح والسياسة ،د،ط، ج1، الجزائر ، تين وزيتون للنشر والتوزيع ، ،ص 270. و قمعون عاشور ، المرجع السابق ، ص 199.

[19] رمضان محمّد الصّالح ،جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثّقافي ، مجلّة الثقافة ، العدد 83، ص 360.

[20] عاشوري قمعون ، العلامة الفذ الشيخ الطاهر العبيدي حياته وآثاره ، المرجع السابق ، ص 205.

[21] المرجع نفسه ، ص 206.

[22] المرجع نفسه ، ص 206.

[23] حرزولي العزوزي ، منظومة البيان بأسهل بيان للعلامة الشيخ الطاهر العبيدي ، المرجع السابق ، ص 227.